



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية

مجلة التميز

الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/673



شعرية العنوان في العمل الأدبي ديوان "الزمن الأخضر" لأبي القاسم سعد الله "نموذجاً"

Title poetry in literary work

The collection of "The Green Time" by Abu Al-Qasim Saad Allah "as an example"

أ/دلندة لبني¹

¹ جامعة عباس لغرور، خنشلة.

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد قيمة العنوان في العمل الأدبي، وإبراز وظيفته كعتبة مهمة تقوم باختصار المسافات في إيصال الرؤية، والفكرة للقارئ بفضل مخزونه الدلالي الذي يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن، ويطلب في الوقت ذاته أعلى فعالية تلق ممكنة، ولا يتوفر ذلك إلا في قارئ مستفز، يتألم لوجع القراءة، ويستجيب قلمه لوجع الكتابة، وحينها يتمكن من تفجير طاقته الدلالية التي تعد مفاتيح تضيء له عتمة العمل الأدبي.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول:

الكلمات المفتاحية:

العنوان.

عتبات.

دلالات.

قارئ مستفز.

مفاتيح.

استجلاء.

Abstract

Cette étude vise à déterminer la valeur du sujet sur une œuvre littéraire, et de souligner leur rôle comme un seuil important basse sur la coupure des distances dans le passage de la vision et de l'idée pour le lecteur grâce au réservoir sémantique qui incarne l'économie la plus élevée possible de la langue, et de demander en même temps la plus grande efficacité de recevoir possible, et ce est seulement disponible en lecteur provocateur qui souffre de de la douleur de la lecture et de répondre à arracher sa plume pour écrire, puis pourrait faire exploser son énergie, qui est touches sémantiques illuminent les ténèbres d'une œuvre littéraire.

* المؤلف المرسل: أ. دلندة لبني، البريد الإلكتروني المهني:

- مقدمة الدراسة:

تحيط بالعمل الأدبي سياجات تشكل مفاتيح يلج بها القارئ إلى جوهر هذا العمل؛ فتكون بذلك ومضات أولية تنير عمته الطريق إلى محتوى هذا الإبداع، وتفتح آفاقا واسعة للقراءة الجادة التي تهدف إلى الإحاطة بمضمون الجهد الأدبي، والوصول إلى النص الكامن.

وغالبا ما تكتسب هذه العتبات خاصية الاحتواء الشامل لمضمون العمل الأدبي، فتزد خافقة بنبضات صاحبه، ناطقة بأفكاره، وموحية بواقعه الذي ينسكب دافئا من روحه، فتنعكس التجربة ملتهبة بالعاطفة، واثرة بالخيال، ويسخر اللفظ حينها ليحمل فنا رفيعا «تنفخ فيه روح الشاعر كل قوى الجمال والمتعة والإثارة والتأثير» (أدونيس، 2004، ص 100)؛ فإذا بالقارئ يقف أمام روعة الإبداع وجمال الإيقاع؛ وإذا به يتذوق هذا الفن بما امتلك من قدرات، وبما توفر لديه من مفاتيح مستغلا ما يحيط بهذا الإبداع من عتبات يرأسها العنوان، وتتبعه الإهداءات، والمقدمات، والمناسبات، وغيرها.

- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأكبر هذه العتبات، والتي تتجلى في عتبة العنوان في محاولة للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هو العنوان؟
 - كيف يساعد العنوان القارئ في الولوج إلى جوهر الإبداع الأدبي؟
 - ما علاقة العنوان بالنص الأدبي؟
 - كيف يكتسب العنوان القدرة الإيحائية التي تمنحه خاصية الإنفتاح على التجربة الإبداعية في النص الأدبي؟
- وتأسيسا لهذا الطرح نحاول الإنفتاح على هذه العتبة من خلال دراسة تطبيقية لديوان "الزمن الأخضر" لأبي القاسم سعد الله، مستغلين بعض ما ورد في هذا الديوان من عناوين لإبراز ظلالها حول أشعاره المتنوعة بغية كشف مكامن الخفي في النص المتمتع علها تحيطننا به حُبرا.

- منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على آليات المنهج السيميائي، مرتكزين على آليات التأويل والقراءة محللين تارة واصفين أخرى؛ لأن هذه العتبة -أي العناوين- ما هي إلا رموزا تنتظر قارئنا مناوشا ومتقصيا.

وقبل أن يسوقنا الحديث عن ماهية هذا العنوان نتوقف قليلا للتعريف بديوان الزمن الأخضر.

ديوان الزمن الأخضر:

ديوان الزمن الأخضر لأبي القاسم سعد الله زاخر بأشعار عديدة، سكب فيها الشاعر عصارة تجاربه في قصائد تنتهي للشعر الحر، وتحمل في تراكيبها قيما جمالية وفنية يتذوقها القارئ عندما يجد نفسه منهكا في البحث عن مضامينها.

وقارئ الديوان يقف عند محاوره الأساسية التي أشار إليها الشاعر في مقدمته، والتي أدار حولها قصائده وأودعها رؤاه الفكرية، فانصبت في معظمها ضمن محور "الوطن" من خلال أضخم مآسيه الثورية التي ضربت بعمق في نفس الشاعر؛ فانعكس لهيبتها في العديد من قصائده.

كما نجد محور "الحب" وما ينطوي عليه من أحاسيس ومشاعر، وما يصاحبها من معاناة استأثرت قسطا وجيزا من محتوى الديوان.

ونجد أيضا محور "العلاقات الخاصة" التي جسدت فيها بعض انتماءاته الخاصة ضمن قصائد مختلفة نذكر منها قصيدة "هزار الشعر" (أبو القاسم، 1985، ص 75).

وتأسيسا على ذلك فإن دراستنا لهذا الموضوع ستركز على تحديد ماهية العنوان، وقيمه كعتبة رئيسية لا يمكن للقارئ أن يتجاوزها بأي حال من الأحوال، وقبل ذلك نقف قليلا لنبين أهم السياجات التي تحيط بهذا الدوان:

سياجات الديوان:

يعد العنوان من أكبر العتبات التي تتوج العمل الأدبي، وتفك رموزه، وتستنطق مضمونه، إضافة إلى سياجات أخرى تحيط بهذا الإبداع الأدبي، وتشكل بدورها مفاتيح أخرى في يد القارئ لتفتح له أبواب القراءة الصائبة لجوهر النص الأدبي، فتنعدد الإمكانيات القرائية كلما تعددت سياجات الديوان، وهذا ما يدفع الكثير من النقاد إلى الإحاطة بكل ما يمس العمل الأدبي سواء من قريب أو بعيد؛ لأن الفن الأدبي ما هو إلا

انطلاقاً من شخصية المبدع وصولاً إلى مضمون النص لتقريب اللذة الجمالية إلى ذوق المتلقي.

ثانياً: المناسبات:

لا تقل المناسبات أهمية عن المقدمات باعتبارها هي الأخرى من ضمن العتبات الموصلة إلى الحقيقة النصية، وكشف مضمون النص وخباياه، واستنطاق أسراره، فهي تقدم للمتلقي رؤية أولية حول النص الأدبي، وتصور ظروف المبدع التي دفعته إلى إبداع النص الفني، كما تقدم للمتلقي فكرة أولية حول محتوى النص.

والمناسبات هي تلك الأحداث التي توافق ذكرى معينة مرتبطة بأسباب الإبداع، ومتعلقة بظروف النص والمبدع في الكثير من الأحيان.

والمناسبات باعتبارها مفاتيح مساعدة على تحقيق الغرض الفني في نفس المتلقي، تعد أيضاً عتبة مهمة تزيل الضباب أمام القارئ، وتأخذ بيده إلى المتعة الفنية في صورة مغرية لأن إستراتيجيات الإغراء كثيرة جداً ومتنوعة، وفق طريقة كل مبدع، وكلما تمتع النص عن كشف أسراره حقق المتعة الأدبية (أندري، 1989، ص43) في نفس المتلقي وبالتالي يدفعه إلى الشوق ومن ثم يجذبه بصورة سحرية إلى مضمونه.

والقارئ لديوان الزمن الأخضر يلاحظ كثرة هذه المناسبات التي تحيط بالنص الأدبي، كما يلحظ أيضاً تعددها وتنوعها بحسب ما يحيط بالكاتب من ظروف فقد ورد الديوان غنياً بالمناسبات الثورية المتعلقة بالشباب والحرية، لأن الشاعر يظل "في قرارة ضميره مرتبطاً بجذوره العرقية والدينية" (نور سلمان، 1981، ص64)، والوطنية التي انعكست بشكل واضح في ديوانه وعكست ذاكرة مشحونة بالثورة متأصلة في تاريخها ناقمة على المستعمر، تفيض ألماً وحرقة كلما جاءت مناسبة تمس الثورة، وخير دليل على ذلك قصيدته الموسومة "بالخائن" (أبو القاسم، 1985، ص229).

وقد وردت في مناسبة حاول فيها بعض الخونة عرقلة الثورة (أبو القاسم، 1985، ص375)، فاحتوت القصيدة مشاعره المتألمة، وعكست لهيبها المشتعل غيضا على الوطن ونقما على الاستعمار.

كما نجد أيضاً ضمن الديوان مناسبات شخصية تخص الحياة الخاصة للشاعر، ولكن وردت بصورة قليلة جداً لأن

مجموعة من المبادئ العامة الحقيقية، النافعة، المتوافقة التي تؤدي في جملتها إلى تحقيق غاية واحدة بعينها (بركات، 2002، ص289)، والتي تتمثل في الوصول إلى اللذة الفنية التي يسعى المبدع إلى بثها في نفوس قرائه.

وسنحاول فيما يلي الإلماع في صورة مختصرة مكثفة حول هذه السياجات الفنية المحيطة بالديوان، لأننا سنركز فيما بعد على العنوان باعتباره موضوع دراستنا، وتتجلى هذه العتبات فيما يلي:

أولاً: المقدمات:

تلعب المقدمة دوراً هاماً في توسيع الرؤى للقارئ من خلال ما تملكه من تصورات وتنبهات تتخذ نبراساً لفهم مقاصد صاحب العمل الأدبي (عباس، 2002، ص320)؛ وبالتالي تضيء له طريق النص فتعطي الغموض الذي يصاحب العمل الأدبي في كثير من الأحيان، وهي بذلك تعد وسيلة هامة في يد القارئ تكشف له عن أسرار النص وتبوح بأشياء كثيرة قد يخفيها في متنه وبين ثناياه؛ لأنها تحقق للمتلقي بعداً فكرياً كبيراً حول الكون التخيلي الذي رسمه المبدع ودعى إليه قارئه الذي يظل عاجزاً عن إنقاط هذه الصورة المرسومة بعيداً عن مفاتيح مخصصة.

والمقدمات على تنوعها- سواء منها الخاصة أو العامة- تساعد القارئ على الإطلاع على أهمية النص الأدبي، وتحديد مقاصده وأبعاده، وكشف أسراره واستنطاق مضامينه، وبالتالي ينتفع منها في إطار العمل الأدبي وضبط سياقه التاريخي وتحديد مضامينه (عباس، 2002، ص320)؛ لأنها باختصار شديد تعد بطاقة تعريف ثانية للنص تدخل القارئ إلى أعماق النص وتيسر له الكثير من الصعوبات التي تعترضه، ومقدمات ديوان الزمن الأخضر تعتبر مفاتيح للقراءة الجادة التي تصبو إلى استكشاف أعماق النص والغوص في ضميره، كما تكشف هذه المقدمات عن مسيرة الشاعر الإبداعية، فتصل القارئ وصلاً مباشراً بالنص و المبدع في الآن ذاته، وبذلك تتحقق للمتلقي مركزية الدلالة عندما يربطه بمضمون النص، ويحيطه بما يتعلق به من أحداث.

وتأسيساً لكل ذلك يتضح أن المقدمة في ديوان الزمن الأخضر ماهي إلا إضاءات للمتأمل، وتنوع لفضاءات النص

إليه، وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ» (بسام، 2001، ص6) خاصة إذا كان هذا الأخير لا يمتلك مفاتيح فك الشفرات، ولا يفقه في إمكانية تفجير الدلالات.

والعنوان بوصفه يمثل النص الشعري يعد صورة شاملة لما يحويه هذا الأخير من معان وأفكار فهو طاقة شعرية هائلة لها خاصية الاحتواء الشامل لمضمون النص إذ «يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن يوازي أعلى فعالية تلقى ممكنة» (بسام، 2001، ص6)؛ وهو بذلك يعد اختصارا للنص، وتقليصا لأفكاره التي تستدعي قارئاً مستفزاً للإنتفاع عليها؛ لأنه يبوح بأشياء، ويخفي أشياء كثيرة تستتر خلف مخزونه، وتنتظر قارئاً ودوداً لاستنطاقها.

ومن هنا تبرز القيمة الدلالية للعنوان، وتتكشف سلطته في استعلاء النص؛ فيبرز بذلك التكامل بينهما عندما تصبح الأبعاد الفنية والشعرية للنص امتداداً لما يندرج بين مفرداته من معان وأفكار؛ لأن القارئ يكتسب صورة أولية حول العمل الفني قبل أن يقوم بقراءته، فيثير فيه وجع القراءة أو التمتع بحسب طاقته الدلالية، وتركيبته الشعرية، وقدرته الإحتوائية "فكم من كتاب كان عنوانه سبباً في ذبوعه وانتشاره، وشهرة صاحبه، وكم من كتاب كان عنوانه وبالاً عليه وعلى صاحبه" (عبد القادر، 2005)، لأنه لم يحسن شحن مفرداته بمضمون إبداعه.

والعنوان إذاً هو العصب الحركي الذي تدور حوله محاور القصيدة، فيؤوله القارئ حسب معطيات نصه القصير، فإذا ما امتنع أحاله في قراءة دافعة إلى النص الشعري ليلج في أعماقه ويكتشف معانيه الخفية، ويستنطق أفكاره المحتجبة، وبذلك تبرز العلاقة بين العنوان والنص في تلك الحاجة الخفية لأحدهما نحو الآخر «العنوان مرتبط ارتباطاً عضوياً بالنص الذي يعنونه فيكمله ولا يختلف معه، ويعكسه بأمانة ودقة» (عبد الملك، 1975، ص277).

علاقة العنوان بالنص الأدبي:

إن علاقة العنوان بالنص علاقة متماسكة يمكن أن نمثلها بعلاقة الروح بالجسد؛ فالروح هي القيمة الجوهرية التي تقوم عليها الحياة، والتي تحمل تفاصيل الجسد في صورة مصغرة مكثفة؛ فتحمل بذلك مضمونه وتدفع فيه الحركة والحياة، وهي في هذا الموضع تأخذ دور العنوان؛ لأنها تملك

الشاعر سخر قلمه لأجل خدمة القضايا العربية والثورية والوطنية، ولذلك فإن قضاياها الخاصة تكاد تكون نادرة عدا ما ورد في قصيدته "سعادتي أنت" حيث يقول لابنه بمناسبة عيد ميلاده الأول: "في ولدي أحمد بمناسبة عيد ميلاده الأول" (أبو القاسم، 1985، ص375).

وتأسيساً لكل ذلك نخلص إلى أن المناسبات عتبات مهمة تلعب دوراً مهماً في إنارة طريق القارئ، وتعمل على إزالة الغموض لتوضيح رؤية القارئ.

ثالثاً: الإهداءات:

الإهداء أسلوب إنساني يستجلب به صاحبه الرضا والمحبة والود، ويستخدمه الكاتب تواصلاً مع إنسانيته ومحبيه، و استجاباً لعمله وإبداعاته، فيجعل من نصه فضاءً مختاراً يخصصه لمحبيه رغبة منه في جلب اهتمام القارئ وتسيير مهمته القرائية.

والإهداء قيمة فنية لا يستهان بها ضمن العمل الأدبي، لأنه "عتبة نصية تحمل بداخلها إشارة ذات دلالات توضيحية" (حسن، 1998، ص64) تكشف في الكثير من الأحيان عن أسرار كثيرة مختبئة ضمن متن النص، وتفتح للقارئ إمكانات قرائية متعددة، وأنماطاً استكشافية متنوعة.

والإهداء أسلوب راق يستخدمه المبدع لكسب محبة قرائه وعشاق نصوصه، ويختلف العمل المهدي باختلاف الشخص المستهدف في الإبداع، ولذلك نجد ديوان الزمن الأخضر مفعماً بإهداءات عديدة نذكر منها ما ورد في بعض قصائده الوطنية و نذكر منها "المجاهدون"، و"الجرح والمصير" كما نجد الإهداءات الخاصة ببعض العلماء والمفكرين مثل قصيدة "تاج العرب" و"قدوة الأحرار" وغيرها (أبو القاسم، 1985، ص302).

ماهية العنوان:

إن أول ما يتجه إليه نظر القارئ عند حمل الكتاب في الرؤية الأولى هو عنوانه، ولذلك يعد العنوان أولى العتبات المفضية إلى عالم النص، بفضل مخزونه المعرفي وطاقته الدلالية، وبموقعه الاستراتيجي الفعال.

وعلى الرغم من كونه خطاباً قصيراً إلا أنه يتفجر دلالات بإمكانها احتواء النص بأكمله، بل وله إمكانية البوح في لحظات بما لا يقوله النص في ساعات، لذلك فهو يطلب بإلحاح قارئاً مستفزاً؛ لأنه « كالنص أفق قد يصغر القارئ عن الصعود

مضى؛ لأن الشعاع هو «الضوء الذي يرى كأنه خيوط»؛ ثم يربط هذا النور بزمن مضى في وخزة تحفيزية للذاكرة توجي بالرجوع إلى الماضي رغم القراءة المرتبطة بالحاضر فيتحد حينها الزمنين ببعضهما - أي الحاضر والماضي- في تركيبية مفتعلة « تجعل إستمرار الحياة قائما على ثنائية ضدية لا تتألف إلا في اللحظات التي تثمر صياغة جديدة لهذا التوتر» (إبراهيم، ص99) القائم بين الوجدتين الزمنيتين، والذي يتجسد في حالة استرجاع طويلة للحظات غير عادية إرتسمت في ذاكرة الشاعر ليثرب في القارئ رغبة القراءة من خلال ما نفثه من روحه في هذا العنوان

إن وقفة تأملية في عنوان شعاع الماضي توجي بأن الشاعر في وسط مظلم مادامت عيون ذاكرته ترى خيوط الشعاع من بعيد، وهذا الظلام قد يؤول بألم دفين في أعماقه، وهو ما يجسده النص فعلا حين يقول:

ياسر قلبي في غرامك عانى
يا ظل فجرك باسمنا بجناحي
يا أيها الملك الذي هجر السما
أسلو بنورك بل بنارك تأمها
(إبراهيم، ص13)

وهذا الألم الخفي يعكسه النص بوضوح فيجعلنا نستوعب قيمة العنوان الإختزالية التي تحمل في تركيبها النص بأكمله، فإن امتنعت قدرة القارئ التفكيكية باح له النص بما عجز عن كشفه؛ لأن العنوان يكمل النص، ويعكس أفكاره بأمانة تماما كمحور لولبي تدور حوله معاني القصيدة.

ويستمر التواصل بين اختزالية العنوان، وانفتاحية النص. "شعاع الماضي" يوجي أيضا بذكرى لطيف مر في زمن من الأزمنة في حياة الشاعر، فسرده في لحظة ذكرى، لينسل هذا السرد المختزل في العنوان والمنفتح في النص حيث يقول

وانشر بفرديوس القلوب جلاله

واعزف على وتر الوصال نشيدنا إن الطبية جنة عوية

لقد وردت كلمة شعاع نكرة معرفة بالإضافة في حين كان بإمكان الشاعر أن يقول "الشعاع"، وإنما تعمد لذلك ليجعلها تحمل صفة المطلق، بحيث يتسنى للقارئ أن يسقطها على

القدرة الإحتوائية لتحمل جوهره، وتمثله في العالم الآخر عند خالقه، أما الجسد فهو ذلك النص الذي يحمل في داخله تلك الروح التي أقيم لأجلها بشكل موسع .

والعلاقة بينها إذا علاقة مترابطة؛ لأن العنوان يحمل أسرار النص بين ثنيابه؛ فيثير في نفس القارئ وجع القراءة من خلال دوره الجليل في تيسير الولوج إلى خفايا النص وأسارته لتبرز بعد ذلك القيمة الانفجارية للعنوان، لأنه هو النص في حد ذاته؛ ولكن بشكل مصغر، والنص هو العنوان ولكن بشكل مكبر.

ويظل هذا الكلام حبيس الصورة النظرية التي تستوجب وقفة تطبيقية معمقة تستنطق بعض العناوين التي بإمكانها أن تستوعب المحتوى المضموني لأفكار النص، وتجسد العلاقة الوطيدة بينه وبين العنوان، وتؤسس لمستويات التداخل والترابط والتكامل بينهما.

وبموجب ما سبق سنحاول تسليط الأضواء على هذه العتبة المهمة لنرى كيف تعكس بظلالها على النص الشعري من خلال استنطاق بعض ما ورد في ديوان الزمن الأخضر من عناوين في عملية إستجلائية للعلاقة الجوهرية التي تربط العنوان بالنص.

وقفات قرائية لبعض عناوين الديوان:

لقد وردت في ديوان الزمن الأخضر عدة عناوين، كلها مشحونة بأحاسيس الشاعر، وموحية بصدق عواطفه وسنتقي من بينها لدراسة العناوين التالية: "شعاع الماضي"، "قالت وقلت" " تاج العرب" (أبو القاسم، 1985، ص23).

أولا: عنوان شعاع الماضي:

يعد هذا العنوان من ضمن العناوين الإسمية التي تعكس رزانة الشاعر وتدل على إتزانه وثباته؛ فالقراءة الأولى لهذا العنوان تجعل القارئ يلحظ أنه مكون من مفردتين "شعاع"، و"الماضي" وردت الأولى نكرة ثم أضيفت إلى المعرفة لتكتسب الجملة ككل صيغة التعريف بالإضافة في سياق حُذف منه المبتدأ المقدر بأحد احتمالات القراءة كلفظ "هذا" أو "إنه" أو "كان هذا" أو غيرها مما يتركب في ذهن القارئ أن هذا العنوان، ورد جملة اسمية خبرية لمبتدأ محذوف.

وطالما يحمل هذا العنوان مهمة الإخبار، فإنه يؤدي واجبه بما أوتي من شحن في مفرداته التي توجي منذ البداية عن أمل

النساء، ومضمون هذا الحوار لا يوجد إلا في النص، غير أن مهارة الشاعر في التملص من الإنتساب لهذا الحوار جعلته يستغل عبقرية اللغة، فيوهم القارئ له أنه الذات التي تتحدث في الفعل الموالي "قُلْتُ" بفضل تاء المتكلم، ثم يحيله إلى مضمون النص في شوق ليكتشف طبيعة هذا الحوار الذي يصور قضية اجتماعية أخلاقية في شكل قصة حوارية بطلتها فتاة صغيرة كان حلمها أن تشكل أسرة، لكن قدرها أوقعها ضحية نزوة عابرة لكاذب محتال، فيتخيل القارئ حجم المشكلة:

قالت عجيب!

أنسيت ماضيك الرهيب

أيام كنت تديرني

في حضنك القاسي الشبوب

جسمي يذوب

والحوار في هذا النص يحمل الكثير من الألم والحسرة والعذاب، وهذا المضمون المفجع لم نكن نتعرف عليه من العنوان وحده لولا دعوة منه إلى النص، فهذا الأخير- في غالب الأحيان- يدعو قارئه عبر العنوان الذي يعد جوهره الشاعر المفقودة، والتي يسعى لترصيع عمله بها، فهو قلب القصيدة الذي " يجدُّ المؤلف كثيرا في اختياره، وانتقائه دون غيره من الكلمات أو الجمل ليكون وسام القصيدة"، ولذلك نجد الشاعر قد أشار في آخر هذه القصيدة بأنه وضع لها عدة عناوين منها "قبلة حمراء" (إبراهيم، ص99، 100) و"قصة مظلومة"، و"قصة خطبتها" (هند، ص58)، وكل هذه العناوين توجي بأهمية العنونة عند الشاعر وتعكس قيمتها في حمل عبء النص.

والواضح أن العناوين المقترحة متعددة، وما تعددها إلا دليل على أن الشاعر وقع في حيرة وهو يبحث عن عنوان يسع النص، ويلفه، إلى أن استقر عند عنوان "قالت وقلت" الذي له سلطته الخاصة في النص؛ لأنه يرمز إلى أشياء كثيرة متنوعة ومختلفة، ومن خصائص الرمز أنه يمتلك قوة الاشتغال أو الإحتواء، قوة ينشرها نفوذه إلى أوسع مدى.

ثالثا: قراءة في عنوان "تاج العرب":

ويستوقفنا عنوان آخر يعد من أروع العناوين في ديوان الزمن الأخضر وهو "تاج العرب" الذي يحمل في مضمونه الكثير

جميع الآمال الواردة لتصبح منيرة للماضي بكل ما تحمله من دلالات.

ويتساءل القارئ عن المقصد الحقيقي للشاعر في لفظ "الشعاع" فيجيبه النص بإيماءات خفيفة في مواطن مختلفة بأن الكلمة تعني ربما امرأة أحبها الشاعر. والدليل على ذلك قوله:

ياسر قلبي في غرامك عانى

فالحب موطنه القلب، وأقرب الإحتمالات في هذا الموقف ترد لإمرأة تعلق بها الشاعر، وأحبها ويؤكد ذلك في قوله:

هذا جمالك حالما بأمانى

لأن الجمال صفة مرتبطة عادة بالمرأة، وهذا ما يؤكد للقارئ مرة أخرى بأن مصطلح الشعاع الوارد في العنوان إنما يدل في أقرب الإحتمالات على امرأة قد تكون محبوبه الشاعر خاصة عندما يصفها بالوردة في قوله:

يا وردة ما كان أجم لونها

وشبابها وجلالها الروحاني

وفي العموم فإن احتمالات القراءة للشعاع كثيرة و متعددة يؤولها القارئ حسب قدرته القرائية، وحسب إيعاءات العنوان في حد ذاته، وأيضا حسب تلك الدفعة التحفيزية من العنوان نحو النص؛ غير أن معظم ما ورد في النص من إيماءات وإشارات توجي بأن المقصود هو امرأة جميلة عاشت مع الشاعر فترة ثم هجرته؛ وأقرب الأدلة إلى هذه الحقيقة قوله:

ذبلت، وأحسب لو يعيش بغيرها

قلب عنيد في الهوى لبكاني

قد كنت أنظرها شعاع حقيقي

أفل الشعاع - فليته - وسلاني

(إبراهيم، ص23، 25)

إن هذه الإحالة من العنوان إلى النص لتقصي حقيقة الشعاع ما هي إلا دليل على ذلك الترابط والتكامل بين النص، والعنوان، وأكثر العناوين التي تجسد هذه الخاصية في الديوان هي عنوان "قالت وقلت"، وسنحاول فيما يلي الوقوف عنده:

ثانيا: عنوان قالت وقلت:

إن القراءة الأولية لهذا العنوان تحيلنا مباشرة إلى النص؛ لأن الواضح فيه أنه عبارة عن حوار تم بين الشاعر، وإحدى

ثم يضيف النص صفات أخرى لهذه الشخصية اللغز حينما يجعله أكثر من شاعر، ويضعه في مرتبة الكاتب الناثر الذي يمتلك ناصية اللغة، ليزيد من فضول القارئ من جهة، وينير له الإحتمال الأقرب إلى الحقيقة من جهة أخرى، فيقول:

إذا صغت سجعا قلت: نغم حمامة

وان سقت نثرا عل هذا مشاربي

وتأسيسا على ذلك يضع القارئ في حسابه أن حامل مضمون هذا العنوان "تاج العرب" إنما هو شخصية مهمة لها نورها الساطع الذي يختفي لهيبته الظلام الدامس، ويستمر النص في تقريب ملامح هذه الشخصية اللغز حينما يكشف عن المزيد من الدلالات والإيماءات المرتبطة بها: على اعتبار أن سلطة الخطاب تتأسس على الانفتاح على الدلالات، وتضمحل وتتقلص مع الانغلاق والانقباض الحقائق، لتترك المساحة فارغة أمام سلطات أخرى تعود بالدرجة الأولى إلى الرصيد المعرفي للقارئ في حد ذاته (حسن، ص 250) وهو الأمر الذي يتطلب ثقافة واسعة واطلاع شاسع وجدارة ماهرة في التحليل والتأويل؛ وقدرة فائقة في الربط بين مفاتيح الإشارات ومكتسبات الثقافة توازنا مع مضمون النص؛ فانظر مثلا قوله:

فهب جميل اللون يبسم راضيا.

ويختال خر الرياض الشائب.

كأنك سيف الفجرتستل شارقا.

وتقطع (بالتوقع) هام الكتاب

(حسن، ص 29)

يحاول الشاعر في هذا المقطع ان يومئ ببعض صفات المستهدف الى القارئ عله يحيط به خبرا إذا ما اتكئ على مخزون معرفي صلب، ولذلك تجد الشاعر يلجأ الى التشبيه لتقريب الشخصية إلى الذهن وتقليص الاحتمالات المواتية لها حينما يشير في تشبيهه صريح بأن لؤلؤتنا المفقودة تشبه السيف الذي يستل شارقا، ويقطع بالتوقيع هام الكتاب، معرفا بأداة التشبيه " كأنك" ليلفت نظر القارئ إلى أنه يحاول أن يقرب الصورة الضائعة.

وأخيرا وكمفاجأة للقارئ يهديها له الشاعر

استسماحا منه للمجهود الذي تركه يبذله في سبيل البحث عن صاحب مضمون العنوان، فيدفعه دفعة سحرية إلى قراءة

من الدلالات العميقة التي تدفع القارئ إلى تركيب احتمالات ذهنية، وإسقاطها وفق مضمون هذا العنوان؛ لأن الوهلة القرائية الأولى تدفع الذهن إلى طرح السؤال الحتمي التالي: من المقصود بتاج العرب؟ ووسط هذه الحيرة يجد القارئ نفسه مجبرا على وضع العديد من القراءات التي تقترب من الحقيقة الغرضية للشاعر؛ وبالتالي تشكل العتمة المفتعلة في مضمونه دفعة قوية إلى النص الإبداعي بحثا عن المقصود من "تاج العرب".

ويتجه القارئ إلى النص عبر تلك الإحالة العنوانية، فيجده هو الآخر متمنعا عن البوح بصاحب هذا اللقب الذي جعله الشاعر تاجا فوق رأس العرب، يتباهون به في كل مكان وزمان فيصير على كشف سر هذا النور الساطع الذي لا تأتي السنوات بمثله مهما حبلت بالمفكرين والعباقرة، ولذلك يزداد شوق القارئ مع تمنع النص الذي يتقمص دور السراب للقارئ الضامئ بحيث يدفعه إلى التخيل والتدبر، وكلما وصل إلى احتمال فاجأه باحتمال آخر في طريق آخر يقول:

ودق رفيق الرج كالسيل زاغب

أزاح كليم الليل و الليل ساحم

وما انت الا الشمس تشرق ضاحكا

وتبسط بالإشعاع عن كل شائب

والبحث عن مقصد الشاعر من عنوان "تاج العرب" يجعل القارئ يتيه في بحر من الإحتمالات التي تليق بهذه الصفة المرموقة التي توحى بأن صاحب هذا التاج إنما هو شخصية متفردة ومميزة؛ ولذلك يطلب من القارئ في هذا الموقف أن يكون ذا ثقافة واسعة وأشهر الشخصيات التي يمكنها أن تحمل هذا اللقب؛ ولذلك وجب عليه أن يبحث عن الشخصية التي يختفي الظلام لهيبتها بسواده ووحشيته؛ لأنه الشمس بإشراقها ونورها.

ويعمل النص على تقريب القارئ من الاحتمال الصحيح حينما يدل على بعض الصفات الخفية التي ينطوي عليها، فيصنفه ضمن قائمة المبدعين من الشعراء ليفتح للقارئ أفقا أخرى لإحتمالاته الباحثة عن كنه هذه الشخصية فهو يقول:

دأبت تناجي الشعري في كل موطن

فجاءت عليك الغرهمي بساكب

(هند، ص 27)،

- 3- أدونيس(2004) مقدمة للشعر العربي، (دار البعث، دمشق، سوريا).
- 4- اندري دي(1989) لنجو، في انشائية الفولتج النصية، ترجمة سعاد ادريس. مجلة نوافذ النادي الأدبي الثقافي، جدة.
- 5- بركات محمد مراد(2002) الفن والجمال بين التراث والرؤية الغربية، (مجلة تعنى بالتراث وقضاياها، ج1).
- 6- بسام قطوس(2001) سيميائية العنوان، (وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1).
- 7- حسن محمد حماد(1998) تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 8- حسين خمري، شعرية الانزياح في قصيدة " يا امرأة من ورق التوت" (منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري قسنطينة).
- 9- عباس لرحيلة(2002) مقدمة الكتاب في اللغة والاصطلاح، (مجلة جذور، ج1).
- 10- عبد الحميد هيمه(2001) علامات في الإبداع الجزائري، (مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر).
- 11- عبد القادر رحيم(2005) سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بسكرة).
- 12- عبد الملك مرتاض(1975) تحليل الخطاب السردي : معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدن، (ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ط1).
- 13- نور سلمان(1981) الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
- 14- هند سعودي، قراءة في سيمياء العنوان لقصيدة "مدينتي"(منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة دت).

خاطفة سريعة إلى الإهداء الموقع منه والذي يكشف سر العنوان، ويبوح بحقيقة "تاج العرب" والمتمثلة في تلك الشخصية العملاقة التي امتلكت سحر البيان وملأت الدنيا بعبقريتها وإصلاحاتها حيناً من الدهر، إنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تاج العرب الذي يُفتخر به في كل مكان، وزمان، وفي هذا الموقف تبرز قيمة الإهداء كعتبة أخرى مهمة تستجلب القارئ لتثير له أفاق النص، ويظهر دوره الفعال في محو ضباب العنوان فتتجلي تلك العلاقة المتكاملة بين سياجات النص المسخرة لإرواء عطش القارئ.

- خاتمة:

ويصل القارئ في بحثه عن خفايا العناوين في هذا الديوان إلى أن معظمها تمنح للمتلقي إمكانات قرائية عديدة دون التفرد بخصوصية واضحة، وبذلك فهي تحوي أفكاراً متعددة تنكشف عبر كل محاولة قرائية وتقترب من المثالية كلما تضافرت العتبات النصية مع بعضها.

وختاماً فقد كانت هذه نماذج حاولت من خلالها أن نبين قيمة العنوان في فتح أفاق القراءة أمام المتلقي وذلك لشمولية طاقته الدلالية التي تنفجر بقوة إذا ما امتلك القارئ مفاتيح تفجيرها؛ لأنها تكشف له عن مخزون عميق يتجسد في ذلك النص الذي يعد الكائن المراوغ الباحث دائماً عن قارئ مستقز يحسن التنقل بين يديه وبين العنوان، وعليه أن يدرك أن العنوان هو الروح، والنص هو الجسد.

- المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج1، (1985) (المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إسطنبول، تركيا).
- 2- أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، (المؤسسة الوطنية للكتاب).